

ألبير كامو..

بين نوبل و ثورة التحرير الوطني الجزائرية

ألبير كامو من مواليد الجزائر في ٧ تشرين الأول عام ١٩١٣ في قرية «الذرعان» - موندوفيل سابقا- في ولاية الطارف من أب فرنسي و أم إسبانية، ويُعتَبَر من الأقدام السوداء» أي المستوطنين الفرنسيين في الجزائر»، تخرّج من الجامعة الجزائرية من كلية الآداب قسم الفلسفة واتجه بعد التخرُّج إلى العمل في الصحافة و كان فنانا و فيلسوفا، أفكاره مستوحاة من نبض الحياة، له نظرة تشاؤمية كما إنّه كاتب وجودي و نهجه الأدبي يدور حول فلسفة العبث و اللامبالاة، و هي الفشل الحتمي في محاولة الإنسان إدراكه للكون، و الإنسان ضائع فلا قيمة للحياة عنده مادام هناك موت.

و العبثية برأيه لا تأتي من كون العالم عبثي، بل من عدم خضوعه لمعايير العقل و العقلانية، و هو اتجاه كامو في الحياة و الأساس الذي قامت عليه أعماله الأدبية، و هي ميزة ظهرت في رواية «الغريب» التي نوّهت بها لجنة نوبل عند فوزه بالجائزة عام ١٩٥٧، و لم تذكر عملاً آخر للكاتب مثل رواية «الطاعون» و «الموت السعيد»، و لا مؤلفاته المسرحية مثل «كاليجولا» و «سوء الفهم»، و لا مؤلفاته الفلسفية مثل «أسطورة سيزيف»، و لا قصصه مثل «المنفى» و قد تُرجمت رواية «الغريب» إلى أربعين لغة منها اللغة العربية حيث شملت الرواية زوايا من حياة الكاتب و تطرّقت لعلاقته مع الآخر، تلك العلاقة التي لا يوجد فيها تسلسل و لا تحليل منطقي ليوضح الكاتب أنّ العالم عبثي لا فائدة منه، أو كما قال عنها بأنّها ((هي رسم بالأسود على لوحة سوداء)) فيها أفكار متناقضة مع المبادئ، خاصة تجاه الحياة و الموت، و اعتبرها النقاد رواية واقعية و جودية عوالمها فلسفية عبثية مُتمرّدة، دارت أحداثها في الجزائر إبان الوجود الاستعماري بها، بطلها «ميرسو» الذي تظهر لا مبالاته بموت أمه في دار العجزة، و يقول على لسان البطل ماتت أمي اليوم و ربّما أمس لا أدري لقد تلقيتُ من الملجأ الذي تقيم فيه برقية هذا نصّها: «أمكم توفيت و الدفن غداً أخلص تعازينا» ماتت أمي اليوم أو ربّما أمس لا أدري، و هنا يُظهر جلياً اللامبالاة تجاه الموت، و يقول: «لماذا نبكي ماتت أمي

و سنموت جميعاً عاجلاً أم آجلاً»، و أمضى مع عشيقته يومه بشكل عادي و ذهب معها إلى السينما، و هذه اللامبالاة و عدم إحساسه بالحياة أنهت حياته بالحكم عليه بالإعدام و مواجهة الموت الحقيقي عند صدور الحكم لارتكابه جريمة قتل على الشاطئ، حيث قتل شخصاً عربياً بمجرد أن لمع السكين تحت أشعة الشمس في عينه. و عدم شعوره بالندم أثناء محاكمته لارتكابه الجريمة مما جعل المجتمع يخافون من لامبالاته أكثر من اقترافه للجُرم و طالبوا بإعدامه.

أمّا بخصوص موقف كامو من الوجود الاستعماري بالجزائر، فقد دافع عن بقاء المستعمرين، و لم يعترف باستقلال الجزائر، ولا بثورة الشعب الجزائري للحصول على الاستقلال، بل دعا إلى تعايش جنسين متصارعين هم الفرنسيون الغزاة والجزائريون السكان الأصليون، و دعا إلى حل القضية الجزائرية بشكل سلمي، و لم يلتفت للجزائريين و لا لحقوقهم في أرضهم و لا للتضحيات التي بذلوها في سبيل استعادة تلك الحقوق من المستعمر الفرنسي، بل فضّل تناسيهم ونكران وجودهم .

الرد على الكاتب (سيد لخضر بومدين) في مقاله حول ألبير

كامو .

- كيف تُمجدون الحقبة الاستعمارية و مناصريها من الكتاب؟!

- اعتمدت في مقالك على رواية واحدة فقط لكامو وغير مكتملة .

- كامو عاش ضد الثورة الجزائرية ومناصراً للاستعمار الفرنسي.

في صحيفة (لوماتان) الجزائرية والتي تصدر باللغة الفرنسية كتب الكاتب سيد لخضر بومدين مقالاً بتاريخ ٠٧ أغسطس ٢٠١٨ حول ألبير كامو، في هذا المقال يُمجد من شأن كامو وذكره لأماكن عاش فيها في الجزائر، و قد استند الكاتب في أفكاره التي وردت في المقال على كتاب واحد، وهذا الكتاب عبارة عن رواية مخطوطة لكامو وُجِدَت في حقيبة يده عندما تُوفي في حادث سير، و أفكار تلك الرواية لم تكن قد اكتملت بعد، فقد كان بصدد كتابة سيرته الذاتية لتكون نقلة جديدة في مسيرته الأدبية.

صدرت هذه الرواية بعنوان « الرَّجُل الأوَّل » فيها ابتعد كامو عن القيود التي كانت مفروضة عليه و تحرَّر منها و حاول أن يأتي بلون جديد في الكتابة عنده، لَوْن فيه التعبير عن الأحاسيس و المشاعر الجياشة، فذكر طفولته و تحدَّث عن جدِّته حادَّة الطباع التي كانت لا تتركه يلعب في الشارع، كما تناول المكان و هو « حي بلكور » بالجزائر العاصمة. كذلك عبَّر عن فقدانه لحنان الأم المصابة بانهيار عصبي و دخلت لمصحَّة عقلية:

لكن أذكّر كاتب المقال أن ذُكر كامو للأماكن و الأزمنة أمر طبيعي، لأنّه فنان و فيلسوف أفكاره مُستوحاة من نبض الحياة باعتبار أنّ الأدب ينهل من الواقع، لكن هذا لا يعني بالضرورة حُبّه للجزائر، وهو من وُلد و عاش طفولته و تخرّج من الجامعة في الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية، تلك الحقبة السوداء التي ما زلنا نجد أقلامًا تراها عهدًا زاهرًا محفورًا في ذاكرتهم، ذاكرة هؤلاء الذين يمجّدون الاستعمار، هذا العهد الذي أصبح مُجرّد ذكريات تدرجت في هاوية الزمان. و لو كان للزمان لسان لقال لك ماذا اقترفت فرنسا في الجزائر من جرائم وحشية، و ألبير كامو لم تكن لديه أيّة علاقة حُب مع الجزائر بل دافع عن بقاء فرنسا المُستعمرة في الجزائر، و أنكر الحق في وجود الجزائريين بها. و في تمجيدك لكامو بهذا المقال استندتَ على مخطوطات كانت مشروع لرواية جديدة لكامو لم تكتمل لوفاة الكاتب و تُعتبر تلك الرواية آخر ما كتب.

كامو لم يساند الثورة الجزائرية، بل كتب رواية «السقطة» - و التي تمثّلت لو كنتَ أنتَ قرأتها- عند اندلاع ثورة التحرير الجزائرية المجيدة، و عبّر في روايته أنّ البطل -أي فرنسا- خرج من جثة عدن- أي الجزائر-، و في رواية «الغريب» و تُعتبر من أشهر ما كتب لما ذا لم يذكر اسم العربيّ الذي قُتل في أحد الشواطئ الجزائرية قتله «ميرسو» بطل الرواية بكل برودة دم لمُجرّد أن لمع

سكين في عينه من جراء أشعة الشمس الحارقة، ورواية «الغريب» فيها علاقة كبيرة بين الكاتب وبطل روايته حيث حُكِمَ بالإعدام على ميرسو بطل رواية الغريب ليس لأنّه قتل العربيّ بل لأنّه لم يُذِرْ دمعة واحدة على أمّه المتوفيّة في دار المسنين، ولم يذكر اسم العربيّ لأنّه بكل بساطة لا يهمه و أراد الجزائر بدون الجزائريين

و في نهاية المقال و من أجل الموضوعية الأدبية أقول: إنّنا لا يمكن أن نهمّل دور كامو على المستوى الفنيّ في جودته و براعته في كتابة فن الرواية، تلك البراعة الفنيّة التي جعلته يحصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٥٧ إضافة لكونه فيلسوفاً قامت فلسفته على البعد الوجودي مع التمرد، لكن يجب عدم خلط الحقائق وإنكار موقفه السلبي من الجزائر و الجزائريين و ثورتهم التحريرية المجيدة ضد الاستعمار الفرنسي الذي كان يناصره كامو، بغض النظر عن قيمته الفلسفية و الأدبية.

ورسّالتي للقارئ حتى لا يتّهمني بالظلم و التعصّب و من أجل المزيد من الموضوعية و الأمانة البحثية ها هو مقال الكاتب مصحوبا برابط الجريدة:

رابط المقال:

<http://www.lematindalgerie.com/albert-camus-un-enfant-de-belcourt>

المقال:

Mardi 7 août 2018 - 07:36

Conseil de lecture pour les jeunes

Albert Camus, un enfant de Belcourt

• Aujourd'hui, je voudrais parler à ces jeunes de l'un de mes «Panthéon» en littérature.

Je me souviens que lors d'une mutation, après deux décennies dans un établissement, mes collègues m'ont offert deux livres, connaissant mon grand amour pour la lecture.

Pour l'un d'entre eux, ce fut accompagné par ces mots surprenants: «Pour toi qui viens d'Oran, nous avons pensé à Camus».

Ils auraient pu me dire «Toi qui aimes la littérature » ou « Toi qui aimes Camus » ou encore « Toi qui es d'origine algérienne ». Non, ce fut «Toi l'Oranais ».

Eh bien, détrompez-vous, je ne vous présenterai pas aujourd'hui « La Peste », livre éminemment célèbre de l'auteur dont l'histoire se déroule à Oran. Lien automa-

tique que mes collègues avaient établi eux-mêmes dans leur pensée.

Pas plus que je ne choisirai le livre francophone le plus lu dans le monde, « L'étranger » d'Albert Camus, une intrigue qui se déroule à Alger, sa ville natale.

Non, aujourd'hui je vous recommande un autre roman du même auteur algérien, « Le premier homme », un peu moins connu par les jeunes mais comme j'ai quelque chose derrière la tête, comme tous les profs, je l'ai choisi pour deux raisons.

La première est que ce livre est incontestablement celui qui est un résumé de ce que Camus a écrit dans d'autres romans (à l'exception donc de ses essais), soit son quartier, sa ville, sa mère, sa grand-mère et son instituteur.

C'est en quelque sorte la compilation de toutes ses parcelles d'autobiographies précédentes car Camus n'a cessé de raconter sa vie et son pays natal dans ses écrits.

Un instituteur à qui il rendra un hommage flamboyant lors de la remise de son Prix Nobel, un discours resté dans toutes les mémoires et qui représente un texte de référence pour l'éducation nationale de tous pays ainsi que la vertu humaine incarnée.

La seconde raison est que ce livre, plus que tout autre, permet aux jeunes générations de comprendre ce que fut notre jeunesse algérienne et donc, leur propre pays. Camus est né bien avant moi mais à chaque fois que je relis ce roman, j'ai l'impression de me retrouver dans ma jeunesse dans laquelle on n'aurait jamais déplacé ni modifié l'environnement physique comme de sensations.

Tout, absolument tout, à l'exception de l'histoire familiale personnelle et de la dimension intellectuelle de Camus que nous ne revendiquons certainement pas, n'est autre chose que l'environnement que nous avons connu. Tout y est, du soleil jusqu'à l'odeur de la craie.

C'est pour cette raison qu'il ne faut jamais aborder Albert Camus par le prisme de l'histoire coloniale et de ce qu'on en pense, les uns et les autres. A aucun moment du livre il n'est fait état de cette histoire politique, des torts comme des larmes. Je sais que certains lui reprochent son silence assourdissant mais Camus raconte tout simplement son pays natal avec la plus grande des beautés émouvantes.

C'est pour cela qu'on retrouve notre Algérie, c'est un fait, pas une opinion politique sinon nous ne pourrions jamais parler de littérature et de ce grand auteur sans

subir l'interférence de situations qui n'ont rien, absolument rien à avoir avec l'histoire de ce petit enfant de Belcourt.

Cette autobiographie a un autre caractère spécifique, son manuscrit a été retrouvé dans la sacoche de l'écrivain, décédé après un terrible accident au cours duquel le véhicule percuta un platane. C'est sa fille qui assura la publication posthume de l'ouvrage inachevé.

En tant qu'enseignant de la propriété intellectuelle dans des filières d'arts appliqués, je ne rate jamais l'occasion de mentionner ce livre pour donner un exemple de ce qu'est en droit, le droit moral d'une œuvre. Je suis toujours surpris et ravi que ces anciens lycéens, dans leur majorité, connaissent ce livre, en plus des autres dont nous avons déjà mentionné la célébrité.

Bien entendu, en dehors de ces deux raisons que j'ai choisies, il reste celle de la grande simplicité d'écriture qui ne pourra gêner une génération qui n'a pas été aussi francophone que nous l'avions été. Argument que je répète à chaque fois et qui motive mon choix.

Je vous recommande deux passages succulents avec cette grand-mère d'origine espagnole qui fut l'héroïne de son enfance mais aussi une personne totalement décalée

par rapport à une instruction de plus en plus grande de ce jeune garçon dont nous savons le parcours brillant.

Le premier passage, les gens de ma génération l'ont certainement tous ressenti un jour ou l'autre de leur vie. Camus est d'une grande tendresse lorsqu'il se rappelle de cette fin d'année à son lycée où la famille est invitée à venir participer à des discours, des présentations et des festivités.

Je vous laisse deviner ce que fut cette journée, accompagné de sa grand-mère, aussi peu à l'aise dans ce monde que ne l'étaient les nôtres à notre époque. Nous aussi nous étions un peu gênés devant nos copains et copines lorsque nous avions à faire à l'originalité de nos proches d'une génération lointaine, nos grands-parents, leurs voix et gestes sans retenues. Mais qui oserait prétendre que nous ne les aimions pas ?

Ces aînés, hommes et femmes d'un autre temps, sont la racine de notre nostalgie profonde et du grand amour de ce pays qui nous a vus naître et grandir, au même titre que cette grand-mère pour ce jeune Albert de Belcourt.

Le second passage est lorsqu'il était obligé de faire sa sieste, moment éternel en Algérie, alors que ses petits copains jouaient au foot dans la cour de l'immeuble.

C'est à ce moment qu'il décrit son emprisonnement entre le mur de chaux blanche de la chambre, comme ceux de toutes les chambres de l'Algérie d'antan, et la gigantesque montagne qui lui faisait face de l'autre côté, le dos de sa grand-mère.

Tout le livre est un hymne à cette jeunesse pauvre mais tellement heureuse d'un petit Albert qui a toujours essayé de trouver sa place entre une grand-mère qui la prenait toute entière et une mère effacée, prostrée devant la fenêtre, sans jamais réagir.

Albert Camus n'a jamais connu son père, décédé à sa naissance, ni même jamais communiqué normalement avec cette mère dont il sera marqué toute sa vie. La pauvre femme était en effet atteinte d'une profonde dépression et se murait dans un grand silence, n'y sortant que très rarement pour un petit signe de tendresse maternelle.

C'est certainement pour cela que l'essentiel de l'œuvre de Camus, vous le savez peut-être déjà, porte sur « l'absence ».

Une absence qui fut magistralement inscrite dans le sens profond de « L'Étranger » », son livre le plus connu dans le monde, nous l'avons déjà précisé.

Pourquoi ce titre « Le premier homme » pour le roman que je vous propose aujourd'hui ? Je vous laisse en découvrir la signification par votre lecture, dévoilée au détour d'une unique phrase dans le livre.

Mais si vous tenez compte de ce qui vient d'être dit dans cette présentation, vous en avez la réponse assez clairement.

Bonne lecture !

Précision :

J'ai reçu quelques messages sympathiques de lecteurs, par un réseau social. Cela serait impudique de le relever ici, et hors propos, si ce n'est qu'ils appellent à une réflexion qui intéresse cette rubrique et les jeunes lecteurs.

Je ne suis absolument pas un professeur de lettres. Ce serait extrêmement triste et, surtout, très grave s'ils avaient l'exclusivité de transmettre le plaisir et la passion de la lecture. Nous en avons tous l'impérative mission éducative.

Auteur

Boumediene Sid Lakhdar, enseignant



ألير كامو